تاريخ أهم الفرق الإسلامية وعوامل قيامها.

د. إمحمد علي التائب
قسم التاريخ /كلية الآداب/ جامعة سرت

مقدمة

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وأمر المسلمين بالوحدة والاعتصام، ونهاهم عن التفرق والمراءة في الدين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ... وبعد

لم يكن قد مضى ربع قرن على وفاة النبي صلي الله عليه وسلم حتى جدَت أمور غريبة عن خصائص التصور الإسلامي ومبادئه ، والوحدة التي دعا إليها ، سقط في مقدمتها عثمان بن عفان رضي الله عنه متدرجا في دمائه ، وكان يمكن أن يكون قتله مجرد حدث آنى عابر كغيره من الحوادث المماثلة ، ولكنه تجاوز هذه المرة كل التصورات المتوقعة بما ترتب عنه من مسائل ونظريات لم يعهدها المجتمع الإسلامي من قبل، ويزداد الأمر غرابة أن تتحول تلك المسائل والنظريات إلى ثوابت ومرتكزات سرعان ما أصبحت أدلة وبراهين للدفاع عن وجهات نظر متباينة ، فتضاعف بذلك الخلاف، ووجد المجتمع نفسه في النهاية منقسماً بين فرق يعمل كل منها لاستمالة العامة لخطابها التعبوي ،فانكفأ المجتمع على ذاته ، وتحول من مجتمع يدعو غيره للإسلام إلى مجتمع يسعى لرأب الصدع بين فئاته ، ووجد المدعوون أنفسهم أمام مرجعيات متعددة يصعب التوفيق بينها.

والمتتبع لتاريخ المجتمع الإسلامي تتضح له صورة الغربة التي آل إليها في ضوء تلك التيارات الفكرية التي فرضت لوناً من الرؤى المحدودة، تحولت شيئاً فشيئاً إلى مدارس، وما يجمع بينها من أهداف مشتركة تقوم على قطع النصوص عن سياقها الطبيعي، وإفراغها من مضمونها الفكري والعملي، بما جعلها تتعارض مع حقائق الإسلام وأصوله.

وقد اشتمل هذا البحث على مقدمة، وثلاثة مباحث رئيسية، وخاتمة، حيث تناولتُ في المبحث الأول تعريف الفرقة، وظهور الحركات الانفصالية، ثم تناول المبحث الثاني أهم العوامل التي

ساعدت على قيام هذه الفرق، أما المبحث الثالث فتناول أهم الفرق الرئيسية كالخوارج، والشيعة، والمعتزلة.

أهمية الموضوع :

ما دعاني للكتابة في هذا الموضوع، هو ما آلت إليه أحوال الأمة الإسلامية من تفرق، وتمزق، بسبب ظهور هذه الفرق، وما نتج عنها من الشقاق الفكري والديني الذي قاد إلى التشرذم السياسي في الدولة، وقد كانت الدولة العربية الإسلامية مركزية متماسكة من حيث الأمور السياسية واستراتيجية الحرب والاعتبارات الأمنية ومشاكل الإدارة، ولم تبرز في تلك الفترة فرق شكلت خطراً على اتجاه الدولة .

الهدف من الدراسة :

إبراز تأثير هذه الفرق على وحدة الأمة الإسلامية، حيث كانت الأمة الإسلامية بحق دولة موحدة، إذ لم يكن هنالك شيء مثار في تلك المرحلة، لأن قوة الدولة حالت دون الإفصاح عن تلك الاتجاهات، وبالتالي فلم تكثر بينهم الاختلافات في الآراء، ولم يتأولوا القرآن تأويلاً يخرجه عن حقيقته، التي تدعوا الناس إلى التآزر، واجتماع كلمتها في عقيدة واحدة خالية من البدع والتطرف.

ومما شجعني لكتابة هذا البحث وفرة المصادر والمراجع التي ساعدتني في جمع المعلومات الوفيرة، كان من أهمها القرآن الكريم، والسنة النبوية، والطبري، وابن النديم، وابن خلدون، وبعض المراجع التي سيأتي ذكرها فيما بعد .

المبحث الأول:

تعريف الفرقة :

الفرقة هي اجتماع أناس متفرقين، حول موقف، ومبدأ، وفلسفة، ونمط متحد، أو متقارب، من أنماط التفكير، هي أمر يختلف عن الموقف الذي يتخذه فرد أو أفراد من قضية معينة، ثم يتغير هذا الموقف وتتبدل خلاله مواقع الأفراد [1].

ظهور الحركات الانفصالية :

لم يعهد في تاريخ القبائل العربية قبل الإسلام خضوعها لسلطة دوله مركزية ، أو نظام موحد

(1) عمارة، محمد: **موسوعة الحضارة العربية الإسلامية**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، (بيروت، 1986م) 536/2.

تنضوي تحت لوائه ، فالروح الفردية كانت هي الطابع المميز الذي كان يسود تلك القبائل، وكل الذي عُرف عنها أنها كانت ترسل بمن يمثلها من الوفود إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – لإعلان إسلامها ، وما إن انتقل النبي – صلى الله عليه وسلم – إلى الرفيق الأعلى، وتولى الخلافة أبو بكر الصديق حتى ظهرت بعض الحركات الانفصالية، في شكل حركات إقليمية منشقة، تمثلت في ارتداد الكثير من القبائل عن الإسلام، وإدعاء البعض النبوة، ورفض البعض الأخر تسليم الزكاة[1].

في كل الأحوال فإن ظهور تلك الحركات ، قد مثلت امتحاناً خطيراً واجه الدولة الناشئة في أول عهدها، " فدعا أبو بكر الصحابة للتشاور، فأشار عليه عدد منهم بضرورة موافقة العرب على مطالبهم ، وحاولوا إقناع الخليفة بتعليق مؤقت لجمع الزكاة"[2]، ولم يكن هذا الموقف بالكف عن قتال من ارتد عن الإسلام . وإنما كان مقصوراً على من أقر بالصلاة، ورفض دفع الزكاة، وقد قيل: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، كان من بين من تردد أول الأمر في قتالهم، وربما يعود سبب التردد في ذلك إلى أخذ الحيطة والحذر ، لأن المتمردين ممن رفضوا دفع الزكاة ، كانوا أقل خطراً من غيرهم ، وأما حجة من يرى قتالهم فخوفاً من أن يجدوا ملاذا آمناً بعد إعلان المرتدين عن أنفسهم فيلتحقوا بهم ، فتقوى بذلك شوكة الجميع ، و تتظافر جهودهم في زعزعة امن الدولة الناشئة واستقرارها ، وليس عن جزع أو شك في ضرورة إلزامهم دفع الزكاة [3].

يؤيد وجهة النظر هذه أن أول مواجهه حادة قام بها المسلمون، كانت مع عناصر حركة الردة والتمرد التي ظهرت في شكل حركات إقليمية منشقة ، قام بها بعض مُدعي النبوة ، منهم صاحب اليمن الأسود العنسي وصاحب اليمامة مسيلمة الكذاب الذي تحالف مع سجاح بنت الحارث التميميّة التي ادعت الكهانة والنبوة ، وقبائل بني أسد التي تبعت طليحة بنت خويلد الأسدي [4].

ولعل ما يؤكد هذا الرأي ما جاء في كتاب أبي بكر الصديق رضي الله عنه إلى قبائل العرب: "قد بلغني رجوع من رجع منكم عن دينه بعد أن أقر بالإسلام وعمل به، اغتراراً بالله وجهالة بأمره، و إجابة للشيطان، وإني بعثت إليكم جيشاً وأمرت ألا يقاتل أحد، ولا يقتله حتى يدعو إلى

(1) منصور الدين ، أحمد : **النظريات السياسية الاسلامية** ، ط 1 (القاهرة ، 1988م)، ص156.

(2) أحمد ، أمين : **يوم الإسلام** ، مؤسسة الخانجي (القاهرة ، 1952م)ص55.

(3) الوازني ، مسعود عبدالله : **الفرق في الفكر الإسلامي** ، ص 16.

(4) الطبري ،أبو جعفر محمد ابن جرير : **تاريخ الرسل والملوك** ، ط2، (القاهرة ، 1969م)، 3/261،253.

داعية الله ، فمن استجاب له ، وأقر ، وكف ، وعمل صالحاً قُبل منه" [1]. وورد عنه أيضاً في عهده إلى جيشه قوله: " إذا غشيتم داراً من دور الناس فسمعتم فيها اذان للصلاة ، فامسكوا عن أهلها حتى تسألوهم ما لذي نقموا ؟ وإن لم تسمعوا آذاناً فشنوا الغارة " [2]، وهذا يدل على أن الجيش تأخر قليلاً في قتال القبائل " التي أقرت الصلاة وامتنعت عن دفع الزكاة ، غير أنه في النهاية لم يقبل أبو بكر ذلك منهم وردهم"[3] بالقوة بعد إجماع الصحابة على قتالهم، فكان ذلك الموقف منه رضي الله عنه " يحمل في طياته بُعد نظر سياسي من أعلى مستوى، إذ أنه لو قبل تعطيل الزكاة ، فأنه بذلك يكون قد سن سنة سيئة للأجيال التالية التي قد ترى تغيير ، أو على الأقل تعديل بعض المبادئ الأساسية العقيدية مع مرور الوقت، بسبب تغير الأوضاع . وبذلك يكون ابو بكر الصديق قد أرسى قاعدة هامة في عدم المساس بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأحكام الشريعة مهما تغيرت الظروف والأحوال [4].

وقد كان لانتصار المسلمين في القضاء على تلك الحركات عموما، أكبر الأثر في إبراز قوة الدولة العربية الإسلامية ، ومنعتها أمام أعدائها الذين تراجعوا أمام المد العربي الإسلامي إلى خارج الجزيرة العربية ، فيما عُرف بالفتوحات الإسلامية [5].

غير أنهم وإن نجحوا سابقا في إعادة شمل الأمة إلى سالف عهدها بعد قمع حركات التمرد والانقسام ، والارتداد عن الإسلام ، فإن ما جدَ بعد ذلك من أحداث سياسية أدى إلى تعميق روح الأزمة بين الصحابة أنفسهم، رغم ما عُرف عنهم من اتحاد وتضامن وأخوة تفوق رابطتها إخوة النسب، وما نقل عنهم من مراجعة للنفس، وشدة محاسبتهم لها، إلى جانب تمسكهم بالشريعة التي تّحرم سفك الدماء بين المسلمين لقوله تعالى " ومن يقتل مُؤمناً مُتعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعـــد له عذاباً عظيماً "[6] وقوله صلى الله عليه وسلم : " لا

---

(1) الطبري، المصدر السابق ، 251/3.

(2) المصدر نفسه 279\3.

(3) المصدر نفسه، 241\3.

(4) منظور الدين ، أحمد : **النظريات السياسية الإسلامية**، (بدون ، 1988م)، ص156.

(5) كرير ، زينب عبد الله : **تاريخ صدر الإسلام**، ط، 1(الزاوية ، ليبيا ، 2000م)، ص145.

(6) سورة النساء، الآية 92.

ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض "[1].

هذا يدل على أنه قد جدَت أمور غريبة عن خصائص التصور الإسلامي ومبادئه وقيمه، أسهمت في تعميق الأزمة، فتباينت بسبب ذلك الرؤى في قضية الإيمان المركزية وغيرها، ثم تطورت فكانت سبباً في ظهور فرق متعددة عملت على ترسيخ قضايا فكرية عابرة ، أصبحت فيما بعد مرتكزات ثابتة، ثم تحولت بسرعة مذهلة إلى مصدر للصدام وقطع سبل الحوار، وأصبح كل تيار ينمو ويتطور في ضوء نظريات لا يخلو أيَ منها من تجاوزات للنص الديني في جانب من جوانبه، كما هو الحال في نظرية الخوارج المتشددة التي أقامت صرح بنائها على اعتبار العمل من مقومات الإيمان وجزءاً منه، وكفَرت تارك شيء من الأعمال ، ولو كان الفعل من الصغائر، وارتكنت إلى العنف في تبكيت الخصوم ، وبدأت تتسع الهوّة بين الفرق شيئاً فشيئاً كلما تقادم العهد حتى كاد يصبح الوفاق بين الاتجاهات الفكرية أمراً مستحيلاً [2].

المبحث الثاني

العوامل الممهدة لنشأة:

إن انقسام الأمم إلى فرق وشعوب وقبائل أو اتحادها، ونشأة الفرق ليس حكراً على مجتمع بعينه، أو عقيدة دون غيرها، فالفترات التي تتعرض فيها المجتمعات للانقلابات السياسية، أو الاجتماعية، كأن يقوم دين جديد على أنقاض دين قديم، أو دولة فتية على أطلال دولة متداعية، أن يلجأ فريق ممن فقدوا مكانتهم إلى اتخاذ الدين الجديد، أو الشعار المرفوع جنه لتدبير مؤامرتهم، وهذا ما ينطبق على الإسلام الذي اكتسح بحقائقه المدهشة أوساطا اجتماعية بالغة التعقيد، وانضوى تحت لواء الدولة الإسلامية الفتية أكثر من شعب.

أ- مقتل عثمان بن عفان :

يعلل المؤرخون الثورة أو الفتنة بالشكوى من عثمان ويحملونه مسؤولية ما حصل. فيتهمونه بالضعف السياسي والإداري[3]. وما لبثت أن ظهرت النقمة على الخليفة في الأمصار (البصرة، والكوفة، والفسطاط) التي غدت محور الفعالية الاقتصادية بسبب تدفق أموال الفتوحات عليها،

(1) سنن أبي داوود : **كتاب السنة، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه**، 4\221.

(2) الوازني: المرجع السابق، ص18.

(3) الطبري: المصدر السابق، 5/ 97 .

وانتزاع الفيء من الجيش وجعله للدولة، وكذلك التساهل واللين والإقبال على الدنيا وانتشار الترف والبذخ بين الولاة، واقتناء القصور والجواري، دفعت أبا ذر الغفاري إلى الابتعاد عن عثمان، فنفاه إلى الربذة، أضف إلى ذلك تقسيم عثمان ولايات الدولة الإسلامية بين أقربائه: فمروان بن الحكم في الحجاز، ومعاوية في الشام. وربما حاول من خلالهم ضبط أمور دولته، ولكن انعكس ذلك سلباً عليه[1].

إن مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه يمكن أن يعدَ كغيره من الحوادث المماثلة عند أول نظرة، ولكنه يحمل في طياته دلالات كبرى قد أدرك من كانوا يتربصون بالأمة الإسلامية الدوائر، أهميته في التخطيط لواقع جديد بدأت عوامل نضجه تقترب من لحظة الاكتمال، وإن ظلت كامنة تنتظر من يقوم بتفجيرها، وقد تحققت تلك اللحظة بالفعل كما أعده المناوئون للإسلام والمسلمين من تخطيط دقيق، واختيار لتوقيت مناسب، وذلك بالإجهاد على أبرز الشخصيات الإسلامية نفوذاً ومكانه ومنصباً، وسابقة وفضلاً في الإسلام من غير أن يمهلوه ، أو يمهلوا الأمة بعد قتله في اختيار من يخلفه، وهو ما لم يحدث مع عمر بن الخطاب الذي أمهله القدر حتى تمكن من اختيار من يخلفه[2].

أما من حصر أسباب الخلاف في مقتل عثمان بن عفان وجعله السند الرئيسي كل ما حدث بعد ذلك من تفكك وحدة المسلمين، فهو وإن أصاب الحقيقة في بعض جوانبها بما جد فيما بعد من قضايا، فقد أخطأ في جوانب أخرى، ولو تأملاً قليل لأدرك أن التخطيط للخروج على عثمان، بل على إجماع الأمة بالإقدام على قتله لم يكن حدثاً عابراً، قبل أن يكون عملاً منظماً بدأ في مراحله الأولى بطريقة سرية، ثم تطور إلى حد التعدي على إرادة الأمة ومشاعرها، وقد حدث ذلك بالفعل في عهد عمر بن الخطاب الرجل القوى الذي تلً عرش كسري، وانتشرت تلك السياسة التي جرت على الأمة الإسلامية تحدياً من نوع أخر، تجسد في تلك المؤامرة التي أدت إلى اغتياله، ثم واصل الأعداء نسج خيوط مؤامرتهم، فلم يكن مقتل عثمان الخليفة المنتخب بإجماع الأمة الحلقة الأخيرة في سلسلة ما أعـدوا له من مخططات سرية، لتفكيك وحـــدة الأمة، والقضاء

(1) الدوري، عبدالعزيز: **مقدمة في تاريخ صدر الإسلام**، ص52 .

(2) الوازنى : المرجع السابق، ص 39.

على منابع قدرتها [1].

ولو اقتصروا على ذلك الحدث المريع لعد في حد ذاته هدفاً كافياً في زرع بذور الفتنة بين صفوف الأمة، بما أثاره الحدث نفسه من تساؤلات، وما استجد فيه من إشكاليات، وبما فتحه من دروب جديدة تؤدى بسالكيها نحو الفرقة والتخاذل، وما ترتب عليه من أزمات جادة، وإنما تواصلت أعمالهم الكيدية دون توقف، لمنع أي تقارب متوقع ، ولم تكن تعوزهم الحيل ودقة التخطيط، واستيحاء الأفكار وتطويرها في ذلك الوسط المضطرب، وساعدهم على الاستمرار في تدبير المكايد، وزرع الأحقاد توالى النكبات، وكان من أشدها وقعاً بعد مقتل عثمان، مقتل الحسين ومعركتي الجمل وصفين [2].

لقد وجد أمثال هؤلاء جميعاً بعد أن أطمأن لهم البسطاء من المسلمين في ذلك الوسط المضطرب الذي كانوا من صنُاعه ، إمكانية التلبيس على عقائد العامة بتحميل الإسلام ما لديهم من إسقاطات فكرية ، ومرجعيات دينية كانت نواة في نشأة هذه الفرق .

ب – العامل الاجتماعي :

يأتي العامل الاجتماعي عند دراسة أي ظاهرة من الظواهر في مقدمة العوامل جميعاً، بوصفه الأكثر دفعاً لتصاعد الأحداث أو التأثير فيها سلباً أو إيجاباً. وتبدو الصورة أكثر وضوحاً في تناول الواقع الجديد الذي قادت إليه الفتوحات الإسلامية التي تحققت على أيدي العرب منذ فترة مبكرة من عمر الإسلام، وأدخلت شعوبا كثيرة ذات أصول عرقية متعددة، وثقافات متباينة، ومدنيات عريقة، وديانات مختلفة من مجوسية ، وصابئة ، ويهودية ومسيحية، وغيرها من الوثنيات، تحت لواء واحد، وفي الطرف المقابل لم تكن تلك الشعوب على درجة واحدة من الوفاق مع العرب، أو على وعي كامل بحقائق الإسلام وأصوله، أو اقتناع بصحة مبادئه وقيمه ، ومنهم من لم يكن يفرق بين الإسلام الذي اختاره الله ديناً للبشرية قاطبة، وبين سلوك بعض الفاتحين إذ جاز الافتراض بأن هنالك من بدر منه ما يلام عليه [3].

يبدوا تأثير العامل الاجتماعي واضحا في خروج بعض الفرس الذين كانوا من سعة الملك، وعلو

(1) المرجع السابق ، ص43.

(2) النجار ، عبدالوهاب : **الخلفاء الراشدون** ، ص33.

(3) الوازن : المرجع السابق ، ص46.

اليد على جميع الأمم، وجلالة النظر في أنفسهم، حتى أنهم كانوا يسمون أنفسهم الأحرار والأبناء، وكانوا يعدون جميع الناس عبيداً لهم، فلما امتحنوا بزوال الدولة عنهم على أيدي العرب، وكانت العرب أقل الأمم عند الفرس خطراً، تعاظمت الأمور ، وتضاعفت لديهم المصيبة ، ورامو ا كيد الإسلام بالمحاربة في أوقات كثيرة، ففي كل ذلك كان يظهر الله الحق .... فأظهر قوم منهم الإسلام نفاقاً ، واستمالوا أهل التشيع بإظهار محبة آل البيت، واستشناع ظلم علي حتى أخرجوا بعض الفئات عن الإسلام [1].

ج ـ الصراع من أجل السلطة :

إن المتتبع للأحداث المتكررة عبر التاريخ يصعب عليه أن يعد الصراع من أجل السلطة، وما يترتب على ذلك في بعض الأحيان من حوادث القتل، سبباً وجيهاً لنشأة الفرق، أو تمهيدا لها، لما تتطلبه مثل هذه الأمور من مناهج فكرية تدعم أسباب الخلاف، وترسخ جذوره، فالخلاف بسبب تأييد أشخاص دون غيرهم، أو القتال من أجلهم، أو بسببهم قد ينتهي بموت الشخص نفسه، أو يتخلى أصحابه عنه، أو بتنازله، ثم سرعان ما يلتئم شمل الأمة، وكان ذلك واضحاً في اجتماع كلمة المسلمين على بيعة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وتجاوز الخلاف الذي نشب بين المهاجرين والأنصار في سقيفة بنى ساعدة، إذ ما إن استمع المسلمون إلى كلمة بشير بن سعد، وهو يدعو الأنصار إلى عدم منازعة الأمر أهله[2]، حتى تقاطر الناس على أبي بكر يبايعونه، متخلين عن سعد بن عبادة الذي طلب الإمامة لنفسه، وكذلك الأمر بعد مقتل عمر بن الخطاب الذي أجمع فيه الصحابة على اختيار عثمان بن عفان من بين الستة المرشحين للخلافة، وبانتهاء الخلاف أيضاً بعد مقتل عبد الله بن الزبير سنة 73هـ / 692م، ولا يوجد تفسير لذلك سوى خلو معسكره من أهل البدع ، ومثيري الفتن [3].

ولذا فإن مقتل عثمان رضي الله عنه لم يكن حدثاً عابراً كغيرة من الحوادث المماثلة، لاستغلاله من طرف من خططوا له، وقاموا بزرع بذور الفتن، وفتح باب القتال بين كبار الصحابة أنفسهم على الرغم من التحـــــذير الشديد الذي وجهه النبي لهذه الأمة :"لا ترجعـوا بعدى كفار

(1) النجار ، عامر : **في مذاهب الاسلاميين** ، ط 1دار المعارف (القاهرة ،1995م)، ص13.

(2) الطبري : المصدر السابق ، 209/3.

(3) المصدر نفسه، 209/3.

يضرب بعضكم رقاب بعض "[1].

بذلك يمكن القول أن تلك الدماء الزكية التي أريقت في تلك الحروب الطاحنة بين كبار الصحابة، تُعد تمهيداً لنشأة الفرق بما أثارته في حد ذاتها من مسائل جدلية، وقضايا فكرية تباينت بسببها الأحكام اعتدالاً وتطرفاً، ومنها قضية اليمان والإمامة اللتان كانتا بداية لوجهات نظر متباينة [2].

د– الثقافة الوافدة :

تؤكد الوثائق التاريخية أن الفلسفة اليونانية تسرب الشيء الكثير منها إلى كل من مصر، والعراق، وأطراف البلاد الفارسية قبل ظهور الإسلام ، وكانت لها مدارس في بعض المدن، وبعد انتشار الفتوحات الإسلامية، وخضوع تلك البلدان لإرادة دولة واحدة، عاد الاهتمام بهذا الفكر في عهد الدولة الأموية على يد حكيم آل مروان خالد بن يزيد بن معاوية الذي يقال: هو أول من دون أسمه في تاريخ من قاموا بترجمة العلوم من مختلف اللغات إلى اللسان العربي، وقد ظهر الاهتمام بذلك مبكرا علي يد أبي جعفر المنصور، ثم سار على نهجه هارون الرشيد الذي قيل: إنه عثر في عهده على كنز ثمين من كتب اليونان في المدائن الرومية " أنقرة وعمّورية " فأمر بترجمتها، ثم جاء المأمون، ففاق الجميع في الاهتمام بترجمة تلك العلوم ، والعزم على إخراجها إلى حيز الوجود، وساعده على مواصلة ذلك النشاط، انتصاره على ملك الروم (تيوفيل)، وكان قد علم أن الرومان عندما استولوا على اليونان آلت إليهم مخطوطات كثيرة في الفلسفة والعلوم والآداب ، ولكنهم لم يستفيدوا منها وألقوا بها في سراديب ، وظلت تقبع هناك إلى أن طلب المأمون من تيوفيل أن يمده بتلك المخطوطات بدل الغرامة التي كان قد فرضها عليه، فأسس لذلك مكتبة عظيمة أطلق عليها دار الحكمة، وأختار لمهمة ترجمة تلك العلوم من يجمع بين لغتين و أكثر، فقاموا بترجمتها [3]، ونشرها، وكان أغلب من أسند إليهم مهمة الترجمة جماعة من السريان المسيحيين، ولسبب أو لآخر، لجأ المترجمون إلى تقديم الفلسفة اليونانية تحت راية إسلامية ، وغلفوا بعض نصوصها في ثياب إسلامية ، وربما يرجع السبب في ذلك إلى اعتقاد المترجمين إذ ما قدموا الفكر اليوناني كما هو

(1) الطبري : المصدر السابق ، 209/3.

(2) الوازني : المرجع السابق ، ص50.

(3) عاقل ،نبيه : **تاريخ خلافة بني أمية** ، ط4 ، دار الفكر (بيروت، 1983م)، ص ص93-94.

سيقابل بالرفض والإنكار، من ناحية، وقد لا يأمن المترجمون على أنفسهم ما قد يتعرضون له من خطر من ناحية أخرى، ولذا أثروا أن يختاروا طريقاً وسطاً حتى يضمنوا بذلك انتقالها إلى المجتمع الإسلامي، ومن ثم معرفتها، وربما التأثر بما ورد فيها ، وقد بدا ذلك واضحاً في فلسفة كل من ابن سينا والفارابي [1].

يمكن القول بأن ترجمة تلك العلوم إلى جانب عوامل أخرى قد كانت عاملاً مساعداً لنشأة الفرق بما فتحته من أفاق جديدة أمام أهل الأهواء من سكان تلك المناطق، ومنهم من كان على علم بها، وتعزز دورهم بصورة أكبر لأنهم وجدوا في تلك النظريات الفلسفية، والجدل الإغريقي السفسطائي ، والعقائد الفارسية ضالتهم المنشودة ، وبخاصة بعد انتشارها، فلم يتركوا مجالا للتلبيس عن عقائد العامة، والتأثير على محدودي الثقافة والبسطاء من العامة إلا خاضوا فيه [2].

لقد أعانهم على ذلك أيضاً إعجاب الكثيرين بما لدى تلك الشعوب المفتوحة من رقي مادي، ولا شك أن التفوق المادي عادة ما يستهوى قلوب العامة ، ويمتلك عليهم نفوسهم، وتضاعف ذلك التأثير بعد أن أجريت بعض الدراسات والشروح على تلك العلوم ، فصار الناس أمامها أشتاتًا :" قوم يقبلونها ويجهلون ما فيها ، وقوم يعرضونها على أصولهم وقواعدهم فيقبلون ما وافق دونما خالفه ، وقوم يعرضون على ما جاء به الرسل والنبوءات من الكتاب والحكمة، وحصل بسبب تعريبها أنواع من الفساد والاضطراب، مضموما إلى ما حصل من التقصير والتفريط في معرفة ما جاءت به الرسل من الكتاب والحكمة [3].

المبحث الثالث

أهم الفرق الإسلامية:

1- الخوارج:

الخوارج اسم لحزب سياسي وفرقة دينية، وقد أختلف الناس في سبب تسميتهم بالخوارج فيرى المخالفون لهم من كتاب الفرق أنهم سمُوا "خوارج" لخروجهم عن الناس أو عن الدين أو عن

(2) عون ، فيصل بدر: **علم الكلام ومدارسه** ، جامعة عين شمس ، (القاهرة ، 1977م) ص8.

(3) الوازني : المرجع السابق .

(4) المرجع نفسه .

الحق أو عن علي كرم الله وجهه [1]. ويرى الشهرستاني أن اسم "خارجي " يطلق على : "كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه، سواء أكان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين ، أو كان بعدهم على التابعين بإحسان والأئمة في كل زمان" [2]. أما الخوارج فيرون أن لفظ " الخوارج " من " الخروج في سبيل الله " مستشهدين بقوله تعالى *((ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مُراغما كثيراً وسعة ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفوراً رحيماً))*[3].

للخوارج أسماء وألقاب أخرى فيسمونه "الحرورية" نسبة إلى "حروراء" وهي قرية بظاهر الكوفة اجتمعوا فيها بعد خروجهم من جيش الإمام علي في معركة صفين. ويسمون أيضاً "المحكمة" ذلك أن الأشعث بن قيس عندما نجح في عقد الصلح بين جيش علي وجيش معاوية، بدأ يقرأ كتاب الصلح على الناس، ويعرضه عليهم فيقرأونه، حتى مر به على طائفة من بني تميم منهم عروة بن أدية فقرأه عليهم فقال عروة بن أدية : تُحكّمون في أمر الله عز وجل الرجال ؟ لا حكم إلاّ لله[4]. ويسمون أيضاً "الشراة" وهي جمع "شار" من قولهم: شرينا أنفسنا لدين الله لذلك نحن شراة، وهي تسمية استمدوها من قوله تعالى : *((إن الله أشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة))*[5] ومن قوله تعالى *:((ومن الناس من يشترى نفسه ابتغاء مرضات الله))*[6].

التاريخ السياسي للخوارج :

يربط المؤرخون قدامى ومحدثين أصل الخوارج بحادثة التحكيم في حرب صفين، "فالخوارج عندهم هم الذين خرجوا على علي في تلك الموقعة، لأنه قبل التحكيم في أمر بدأ هو وجيشه الجهاد والاستشهاد من اجله"[7]، وكانوا يرون :" أن الفصل في موضوع خـــلافة النبي لا يصح أن

(1) الأشعري: **مقالات الإسلاميين**، ص191.

(2) الشهرستاني : **الملل والنحل** ،1\155.

(3) سورة النساء، الآية 101.

(4) الطبري: المصدر السابق، 1\3388.

(5) سورة التوبة :الآية 111.

(6) سورة البقرة : الآية 207.

(7) قلماوي ، سهير : أدب الخوارج ص2.

يوكل إلى البشر بل ينبغي الاحتكام فيه إلى الحرب والكفاح وسفك الدماء"[1].

وإذا ما ناقشنا هذا الربط التاريخي بين ظهور هذا الحزب وحادثة التحكيم لابدا أن يلتمس له أسباباً غير هذا ، إذ لا يمكن أن يكون هذا الحزب " قد تكون دفعة واحدة بل لابد أن فكرة الحزب التي تكونت حولها مبادئه الأولى كانت منتشرة في فئة من المسلمين، أو أنها تتفق مع أغراض أو أفكار كانت تشغل بال المسلمين قبل التحكيم"[2].

ومن هذه الأسباب :

أولاً: أن حركة الخوارج كانت تمثل النزعة التي كانت تسود طبقة من الصحابة الأتقياء المعروفين بالقُرّاء، الذين استفزتهم روح السخط على الوضع القائم، وعدم الاستقرار، والقلق الاجتماعي العام الذي نتج عن النزوح إلى البلاد المفتوحة ، وما وافق ذلك من نزاع وانقسام بين المسلمين، وسوء توزيع للثروة [3]. هذه الطبقة مالت إلى تصور إمكانية بناء مجتمع إنساني مثالي، يسوده العدل المطلق، ويخلو من الفروق الطبقية، والنزاع السياسي، ويصير الناس فيه إلى أخوَة الإسلام الأولى، وسماحته، وقد اتضحت وتبلورت هذه النزعة في نظريتهم عن الخلافة والإمامة التي أقاموها على الانتخاب الحر،[4] لا بل جوزوا " أن لا يكون في العالم إمام أصلاً، وإن احتيج إليه فيجوز أن يكون عبداً، أو حراً، أو نبطياً، أو قرشياً "[5]. أنهم لا يريدون كما يقول الإمام علي : الإقرار بأية إمارة[6]، لأنها في نظرهم فشلت في اجتثاث الشرور الاجتماعية . ومن هنا صارت فكرتهم في الحكم " ليست موجهة نحو أهداف يمكن تحقيقها، فضلا عن أنها كانت منافية للمدنية "[7]. وهذه النزعة المثالية في تصور المجتمع انتهت بهم إلى جمود فكري وتعصب عقدي، فتح هو الآخـــر

---

(1) كولدزيهر : **العقيدة والشريعة في الإسلام** ، ص190.

(2) قلماوي : المصدر السابق ص 2.

(3) watt .w.m.philosophy and thcolagy. p.21.

(4) عرفان، عبد الحميد: **دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية** ، مؤسسة الرسالة والنشر (بيروت، 1997م)، ص 91.

(5) الشهرستاني : المصدر السابق ، 1\157.

(6) المصدر نفسه ص160/1 .

(7) عرفان : المرجع السابق ، ص91.

الطريق لنمو النزاعات الهدامة المتطرفة في صفوفهم"[1].

ثانياً: وتتمثل في حركة الخوارج أيضاً الروح التقليدية للتمرد القبلي على المركزية في الحكم والنزعة الفردية التي كانت من أهم خصائص التكوين العقلي للعربي في جاهليته، والتي جاهد الإسلام من أجل تخفيفها، تلك النزعة التي في صورتها المتطرفة تجعل العربي لا يخضع لسلطان، ولا يعترف بقانون يفرض عليه [2].

حيث تمثلت هذه النزعة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم **أولاً** في حروب الردة، التي كان من أهم أسبابها عدم اعتراف القبائل بسلطان قريش، التي كانت تمثل السلطة المركزية. وتمثلت **ثانيًا** في خروج الخوارج من جيش علي والتمرد عليه . ويكاد يكون من الثابت المقرر تاريخياً أن حركة الخوارج كانت تضم فئات قوية من عرب تميم التي تمثل هذه النزعة خير تمثيل، وزعماء الخوارج الأوائل أمثال مسعر بن فذكي، حرقوص بن زهير ، عروة بن أديه، كانوا من عرب تميم [3].

ثالثاً: تمثلت في خروج الخوارج روح العصبية القبلية والتناحر المتوارث بين القبائل العربية المختلفة. فقد كان أهم عنصر في جيش علي قبائل ربيعة وعليها اعتمد أكثر ما اعتمد. يروى لنا نصر بن مزاحم صاحب كتاب (صفين)" أن علياً كان لا يعدل بربيعة أحداً من الناس فشق ذلك علي مضر وأظهروا لهم القبيح"[4]. وكان في جيش الإمام عنصر هام من مُضر له خطرة وعزته وسلطانه، وهم تميم . ومع ذلك لم يخل جيشه من اليمانية التي نزحت إلى العراق بعد الفتح وكانوا من وجوه أصحاب علي كما يقول صاحب العقد الفريد[5]، وكما هو ظاهر من التفاف بعض اليمانية البارزين حوله أمثال الأشتر النخعي والأشعث بن قيس وغيرهما فكانت هذه الفئات تتربص ببعضها ويعز عليها أن تكون الصدارة لبعضها دون غيرها [6].

---

(1) المرجع نفسه .

(2) عرفان : المرجع السابق، **الفرق والعقائد الإسلامية**، ص91.

(3) حتى (فليب): **تاريخ العرب**، ص 192.

(4) عرفان : المرجع السابق، ص93.

(5) المرجع نفسه .

(6) المرجع نفسه .

آراء الخوارج الدينية :

أهم ما يميز الخوارج هو التشدد في فهم النصوص الدينية، وهذا التشدد له عند الخوارج وجهان: **الوجه الأول:** ويتضح في تأكيدهم على التطهر الروحي والبدني، والعبادة الكثيرة، حتى صاروا يعرفون بمتطهري الإسلام[1]، واشتهروا بأنهم ذوو جباه قرَحها طول السجود، وركب صارت كتفان الإبل من كثرة السجود ، وقد انعكست هذه النزعة الروحية في الأدب الخارجي، الذي صار مرآة العقيدة القوية والإيمان بها أقصى حد [2].

أما **الوجه الثاني:** فقد اتخذ صورة التطرف، والقسوة في معاملة الغير، فصاروا يمتحنون خصومهم ويستعرضونهم، وأخذوا يكرهون الناس على أرائهم بالقسوة والعنف، واعتبروا دار غيرهم من المسلمين ديار حرب فاستحلوا قتالهم وسبيهم، وإذا وجدوا مخالفاً لهم امتحنوه، فإذا وجدوه مخالفاً قتلوه، وهذا يعرف عندهم "بالاستعراض "روي" أنهم أصابوا مسلماً ونصرانياً فقتلوا المسلم، وأوصوا بالنصراني خيراً، وقالوا: احفظوا: ذمة نبيكم. ولقيهم عبد الله بن خباب بن الأرث وفي عنقه مصحف ومعه امرأته وهي حامل فقالو: إن الذي في عنقك يأمرنا أن نقتلك. فقالوا: فما تقول في أبي بكر وعمر ؟ فأثنى خيراً، قالوا : مما تقول في علي قبل التحكيم وفي عثمان في ست سنين فأثنى خيراً ، قالوا : فما تقول في التحكيم ؟ قال : أقول: إن علياً أعلم بكتاب الله منكم وأشد توقياً على دينه وأنفد بصيرة، قالوا : إنك لست تتبع الهدى وإنما تتبع الرجال على أسمائهم، ثم قربوه إلى شاطئ النهر فذبحوه .... وساموا رجلاً نصرانياً بنخلة له فقال : هي لكم ، فقالوا : ولله ما كنا لنأخذها إلا بثمن. قال أعجب هذا أتقتلون مثل عبد الله بن خباب ولا تقبلوا منا نخلة[3].

لقد انقسم الخوارج إلى عدة فئات ومنها: النجدات وهم أتباع نجدة بن عامر الحنفي، حيث تقول: بجواز التقية في القول والعمل، وفئة ثانية الأزارقة: وهم أتباع نافع بن الأزرق، حيث قالوا: إن التقية غير جائزة لا في القول ولا في العمل، وفئة ثالثة هم الصفرية، وهم أتباع زياد بن الأصفر وقالت في التقية: جائزة في القول دون العمل، وفئة رابعة وهي الإباضية وهم أتباع عبد الله بن

(1) كولدزيهر : المصدر السابق ص 192.

(2) قلماوي : المصدر السابق ، ص41.

(3) الطبري: المصدر السابق، 3- 911.

إباض، وقد قالت: إن مرتكبي الكبائر موحدون لا مؤمنون، لذا مناكحتهم جائزتهم وموارثتهم حلال، لأنهم إنما كفروا كفر نعمة لا كفر ملة[1].

2- الشيعة:

يختلف تعريف الشيعة من حيث اللغة عن تعريفها في الاصطلاح العام عند الفقهاء والمتكلمين، فكلمة شيعة بالكسر تعني في اللغة أتباع الرجل وأنصاره، والفرقة على حدة، ويقع على الواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث[2]. فهم الصحب والأتباع، أما تعريف الشيعة عند الفقهاء والمتكلمين من الخلف والسلف، فيطلق على أتباع علي وبنيه رضي الله عنهم[3]. يقول النوبختي "الشيعة هم فرقة علي بن أبي طالب المسمون بشيعة علي في زمان النبي صلى الله عليه وسلم وما بعده".

ويعرفهم الجرجاني فيقول :"هم الذين شايعوا علياً كرم الله وجهه وقالو انه الأمام بعد رسول الله ، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج عنه وعن أولاده"[4] وإنما قيل لهم الشيعة لأنهم شايعوا علياً كرم الله وجهه، ويقدمونه على سائر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم[5].

وأصل الشيعة الفرقة من الناس ويقع على الواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث بلفظ واحد ومعنى واحد، فمن إطلاقها على الواحد المذكر والمؤنث، قولهم فلان شيعة لعلي ، وكانت فلانة شيعة لعلي، ومن إطلاقها على الجمع قوله تعالى *((هذا من شيعته ،وهذا من عدوه فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه))*[6].

ونظراً لغلبة اسم الشيعة على من يناصر علياً وأهل بيته، فقد صار هذا الاسم خاصاً بهم، وأصل ذلك من المشايعة أي المتابعة والمطاوعة، فهم من ناصروا عليا وشايعوه والتفوا حوله، وجعلوه أماماً لهم، نصاً ووصياً[7] .

---

(1) الشهرستاني: المصدر السابق، ص172

(2) ابن النديم : **الفهرست**،ص263.

(3) ابن خلدون :عبد الرحمن بن محمد ، **المقدمة**، ص175.

(4) الجرجاني : **التعريفات** ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي (القاهرة ، 1938م)، ص114.

(5) الاشعري ، أبي الحسن : **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين**، (استنابول ، 1929م)، ص5.

(6) سورة القصص: الأية رقم 15

(7) العاملي :المصدر السابق ج1 ، 16/15.

نشأة الشيعة وبداية ظهورهم :

اختلفت الآراء حول تحديد نشأة الشيعة وبداية ظهورهم. ممن قائل أن الشيعة بالمعنى الاصطلاحي—كفرقة من الفرق الإسلامية — لم تظهر إلا إثر مقتل عثمان وقيام الفتنة الكبرى[1]. وهناك من يرى أن كلمة الشيعة لم تأخذ صورتها الاصطلاحية للدلالة على الانتماء إلى الحزب الذي يوالي علياً وبنيه ويعادي الأمويين، إلاّ بعد مقتل الحسين ، فأطلق لفظ الشيعة على أنصار العلويين (أتباع علي)، الذين كانوا يعدون أنفسهم للثورة على الأمويين، انتقاماً لقتل الحسين ابتداء من سنة (62هـ/ 682م)[2]. بل وهناك من يرى أن دعوة التشيع في الإسلام دعوة شعوبية قديمة، لها أصولها الأولى التي كانت بين اليهود، والنصارى، والعرب من قبل الإسلام ، وأنها لم تظهر، ولم تنشأ إلا على يد الفرس، أو من كان مثل اتجاههم من بعض الأفراد الذين لهم زيغ في العقيدة ، ولهم مثل هذه الميول الفارسية من اليهود، أو النصارى، أو غيرهم [3].

الثابت تاريخياً، كما يقول أحمد أمين، أن التشيع لعلي بدأ قبل دخول الفرس في الإسلام، وبعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وجد هذا الحزب ، ونما بمرور الوقت، وبالمطاعن في عثمان. وبدخول عناصر أخرى في الإسلام، من يهودية، ونصرانية، ومجوسية، اصطبغ التشيع بصبغة دينهم، فاليهود تصبغ الشيعة باليهودية ، والنصارى بالنصرانية وهكذا، وفي رأيه أن أكبر الأثر في التشيع إنما هو للفرس، لأن أكبر عنصر دخل في الإسلام هو العنصر الفارسي [4].

أما الشيعة أنفسهم، فيذهبون إلى القول بأن أول من وضع بذرة التشيع في الإسلام هو النبي – صلى الله عليه وسلم– ويدللون على صحة رأيهم بقوله – صلى الله عليه وسلم– " يا علي أنت وأصحابك في الجنة"[5]، وقوله "والذي نفس بيده أن هذا – أي عليا – وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة"[6].

---

(1) مدكور ، ابراهيم : **في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه** ، دار المعارف، (القاهرة ،بدون)، 60/2.

(2) البلاذري : **أنساب الاشراف** ،206/5.

(3) هلال ، ابراهيم : **نظرية المعرفة الاشرافية**، دار النهضة العربية، (القاهرة ،1978م)، 3/2.

(4) أحمد أمين : المصدر السابق ، ص ص277-278.

(5) ابن حجر : **الصواعق المحرقة** ، (القاهرة ، 1375هـ)، ص159.

(6) كاشف الغطاء ، محمد حسين : **أصل الشيعة وأصولها**، (القاهرة ، 1958م)، ص ص109-110.

مهما يكن من اختلاف الآراء حول مبدأ ظهور الشيعة فمنشؤها كان لغرض سياسي، اذ نشأ حزب أنصار علي وهم "الشيعة "، بعد أن غلب معاوية والي الشام علياً وولديه الحسن والحسين، وظل هذا الحزب يدافع عن كيانه، ويتخذ صوراً شتّى مع التاريخ، تخضعه القوة تارة، ويصل إلى السيادة في نواح متفرقة تارة أخرى، حتى تمثل آخر الأمر في امبراطورية الفرس الشيعية ، وانفصل عن الإسلام السني انفصالاً نهائياً [1].

فرق الشيعة وأساس مذهبهم :

الشيعة – كفرقة في الجماعة الإسلامية– لم تظهر إلا في أواخر حياة علي بن أبي طالب، نتيجة محاربة الخوارج والأمويين له، وكان اختلاف ميولهم وبواعثهم سبباً في تشيعهم إلى عدة فرق: عند الحديث عن الشيعة كفرقة، فإن أول ما يتبادر إلى أذهاننا هو موقفهم من مشكلة الإمامة، خاصة وأنهم قد انفردوا بالقول بالنص والتعيين، ويتفقون جميعا على أن الإمام المنصوص عليه بعد النبي – صلى الله عليه وسلم – هو علي بن أبي طالب وذريته من بعده، وأن الإمامة ليست من المصالح العامة التي تفوض إلى نظر الأمة، بل هي ركن الدين وقاعدة الإسلام، ولا يجوز لنبي إغفاله، ولا تفويضه إلى الأمة، بل يجب عليه تعيين الإمام لهم، ويكون معصوما من الكبائر والصغائر، وأن عليا رضي الله عنه هو الذي عينه صلوات الله عليه [2].

هذا الموقف العقائدي المتميز، فيما يتعلق بمشكلة الإمامة، جعل الشيعة يختلفون عن باقي الفرق الإسلامية الأخرى القائلة بالاتفاق والاختيار كالمعتزلة، وأهل السنة، والخوارج، بل وقد اختلفت الشيعة فيما بينهم في أمور تتعلق بالإمامة، كمساقها في ذرية علي بن أبي طالب ومسألة جواز إمامة المفضول مع وجود الأفضل، هذا فضلا عن تعلقهم ببعض الأئمة، وتعدد ميولهم في الأصول، فبعضهم يميل في الأصول إلى الاعتزال، وبعضهم إلى السنة[3]. مما أدى إلى انقسامهم إلى خمس فرق هي:

أ– الكيسانية: نسبة إلى "كيسان" مولى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب .

ب– الزيدية: أتباع زيد بن علي بن أبي طالب، سُموا كذلك لتمسكهم بقول زيد بن علي بأفضلية

(1) دى بور : المرجع السابق ، ص6.

(2) ابن خلدون : المصدر السابق ، ص175-176.

(3) الشهرستاني : المصدر السابق ،ص279.

علي بن أبي طالب، على سائر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما سُموا أيضا بالرافضة من قبل الإمامية، وذلك لقول زيد بإمامة الشيخين: أبي بكر، وعمر، وعدم تبرئه منهما، لذا رفضوه ولم يجعلوه من الأئمة[1]. والإمامة في نظر الزيدية ليست إمامة بالنص، ولكن بالاختيار من الشيوخ إذا لم ينزل وحي يُعين الأئمة ، فالإمامة تجوز لكل فاطمي، ورع، تقي، سخي، لديه القدرة على الاجتهاد[2].

ج– الغالية: من فرق الشيعة المتطرفين والذين غلوا في حق أئمتهم، حتى أخرجوهم من الحدود البشرية، وحكموا فيهم بأحكام إلهية فربما شبّهوا أحد أئمتهم بالإله [3].

د– الإمامية : سُمّو كذلك لأن أهم عقائدهم تدور حول الإمام والإمامة، وسمّي بعضهم بالمتأوّلة لأنهم شكّوا في صحة القرآن، وطعنوا فيه. والأئمة في رأيهم لعلي بن أبي طالب بعد النبي صلى الله عليه وسلم بالنص الظاهر، والتعيين الصادق من غير تعريض بالوصف، بل أشار إليه بالعين [4].

ساقوا الإمامة من علي بن أبي طالب إلى ابنه الحسن بالوصية، ثم إلى أخيه الحسين، ثم إلى ابنه علي زين العابدين، ثم إلى محمد باقر الحكيم ثم ابنه جعفر الصادق[5].

هـ– الإسماعيلية: الإسماعيلية هي إحدى فرق الإمامية، سُمّيت كذلك نسبة إلى إسماعيل بن جعفر الصادق، الابن الأكبر لجعفر الصادق الأمام السادس، ظهر دُعاتها أولاً في فارس، ولهم مقالات قديمة وأخرى جديدة. دعا إليها فارسي من خراسان هو الحسن بن علي المعروف بالصباح، وأنشأ للإسماعيلية عدة فروع متفرقة في الشام، وفارس، والعراق، بثّ فيها تعاليمه ودعا بإمامة إسماعيل وبنيه من آل البيت [6].

3– المعتزلة:

المعتزلة طائفة من المتكلمين هم خلفاء للقدرية القائلين بحرية الاختيار من ناحية، والجهمية رواد مذهب التأويل العقلي من ناحية أخرى، يتسمى المعتزلة بأصحاب العدل والتوحيد وهم ست

(1) ابن خلدون : المصدر السابق ، ص177.

(2) المصدر نفسه .

(3) الأشعري : المصدر السابق ،85/1.

(4) الأشعري : المصدر السابق ،85/1.

(5) المصدر نفسه .

(6) الجيلاني ، علي بن فضل الله : توفيق التطبيق ، ط 1 (القاهرة ، 1954) ص198-199.

فرق [1].توصف مدرستها بأنها من أخصب المدارس العقلية في الإسلام فكراً ورجالاً، عالجت العديد من المسائل معالجة فلسفية، وتعرضت لدراسة مباحث مختلفة كالطبيعة، وما بعد الطبيعة، والسياسة، والأخلاق [2].

يرجع تاريخ المعتزلة كفرقة كلامية إلى أواخر عهد الأمويين ، فعاش تحت حكمهم رعيلها الأول بقيادة واصل بن عطاء ، مؤسس مذهب المعتزلة ، وقد نال هذا المذهب تأييد للخلفاء العباسيين من أيام المأمون إلى عهد المتوكل حتى جعلوه عقيدة الدولة [3].

بدأت المعتزلة في البصرة، ثم أمتد فرع منهم إلى بغداد، وأسهموا في إشعال محنة خلق القرآن، وكان ذلك قبل وفاة المأمون بأربعة أشهر، وقد ركز أعلامهم على هذه المسألة، وجعلوها شرطاً لصحة العقيدة، وفارقاً بين الإيمان والكفر، والتوحيد والشرك . والمعتزلة عقلانيون، والإسلام في رأيهم يتركز في الاعتقاد بخلق القرآن ، وقد ألحوا على تسمية القرآن بالمخلوق، لأن الله في رأيهم هو وحده القديم، وما عداه فهو محدث مخلوق، وحيث أن الله خير فلا يمكن أن يجعل الشر [4].

لقد حملوا المأمون بن الرشيد العباسي على حمل المسلمين على هذه العقيدة، وأمر بإقصاء كل من لا يدين بها، أو يخالفها، وامتحانه وتعذيبه ، فما كان منه إلا أن أرسل كتاباً إلى والي بغداد إسحاق بن إبراهيم ذكر فيه أن خليفة المسلمين واجب عليه حفظ الدين، وإقامته، والعمل بالحق في الرعية، وأن المنكرين لخلق القرآن والقائلين بقدمه "شر الأمة ورؤوس الضلالة المنقوصون من التوحيد... وأحق من يتهم في صدقه ، وتطرح شهادته، ولا يوثق بقوله ولا عمله، فإنه لا عمل إلا بعد يقين ، ولا يقين إلا بعد استكمال حقيقة الإسلام ، وإخلاص التوحيد، وأمره بجمع الناس وامتحانهم في هذه العقيدة ، وعزل كل من لا يوافق عليها، ولا يدين بها [5].

تلك كانت محنة عظيمة على الأمة الإسلامية، زاد من حدَتها أن المعتزلة فرضت على العامة فرضاً الاعتقاد بها، والإذعان لها مع عدم قدرتهم على استيعابها، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فأن عقل المعتزلة، كما يقول أحمد أمين "كان عقلا حاداً، جافاً فلسفياً ، وأضعف نقطة فيه " أنه

---

(1) الخوارزمي : **مفاتيح العلوم** ، مكتبة الكليات الأزهرية ط2 (القاهرة ،1981م)، ص18-19.

(2) بالي، مرفت عزت: **نماذج من مذاهب الفرق الاسلامية**، مكتبة الانجلو المصرية، (القاهرة،1991م)، ص141.

(3) مرفت : المرجع السابق ، ص42.

(4) John Alden willims islam new york. 1961.p.224.

(5) الندوى : أبو الحسن : **الامام الممتحن أحمد بن حمبل**، (القاهرة ،1973م)، ص14.

يراد أن يفرض على العامة فرضاً ، يراد أن تكون الأمة فلاسفة تعرف الجوهر والعرض ، والكمية والكيفية ، والمحدود و اللامحدود ، والوحدة والتعدد ، والمكان والجهة[1].

أما عن نشأة المعتزلة وتسميتها فقد تعددت الآراء حولها ، ولعل أشهرها ما ذكره البغدادي في كتابه "الفرق بين الفرق" ومؤداه أن المعتزلة سموا كذلك لأن واصل بن عطاء كان تلميذاً للحسن البصري، وقد حدث بينه وبين أستاذه خلاف حول مسألة مرتكب الكبيرة، هل هو مؤمن أو كافر، وعلى أثر هذا الخلاف طرد الحسن البصري واصل من مجلسه، وانضم إليه صديقه عمرو بن عبيد، فقال الناس يومئذ فيهما أنهما اعتزلا قول الأمة، وسمي أتباعهما بالمعتزلة [2].

هناك تفسير آخر يرد نشأة المعتزلة إلى تلك الخلافات والصراعات التي قسمت المسلمين حول موضوع الخلافة أو الإمامة، فكان لابد أن تقوم بينهم جماعة تعزل الفتنة وتعزل الكل، لا يحاربون مع علي ولا يحاربون ضده ، وهؤلاء هم المعتزلة، هذا ما يوضحه الملطى حيث يقول "والطائفة السادسة من مخالفي أهل القبلة هم المعتزلة، وهم أرباب الكلام، وأصحاب الجدل والتمييز والنظر والاستنباط، والحجج على من خالفهم، وأنواع الكلام، والمفرقون بين علم السمع وعلم العقل، والمصنفون في مناظرة الخصوم، وهم عشرون فرقة يجتمعون على أصل واحد، لا يفارقونه، وعليه يقولون وبه يتعادون، وإنما اختلفوا في الفروع وهم سموا أنفسهم معتزلة، وذلك عندما بايع الحسن ومعاوية وجميع الناس، وذلك أنهم كانوا من أصحاب علي، ولزموا منازلهم ومساجدهم وقالوا نشتغل بالعلم والعبادة ، فسموا بذلك معتزلة [3].

يضاف إلى هذه التفسيرات ما ذهب إليه نلينو في بحوثه عن المعتزلة وأصل تسميتها، وهو أن المعتزلة الأولون اختاروا هذا الاسم، أو على الأقل تقبلوه بمعنى المحايدين، أو الذين لا ينصرون أحد الفريقين المتنازعين (أهل السنة والخوارج) على الآخر في مسألة الفاسق. وفي رأيه أيضاً أن اسم المعتزلة قد أخذ عن لغة السياسة في ذلك العصر، فكان المعتزلة الجدد المتكلمون في الأصل مستمرون في ميدان الفكر والنظر للمعتزلة والسياسيين أو العمليين [4].

---

(1) أمين ،أحمد: **ضحى الإسلام** ، ط 4، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة ، 1987م)، 13/3.

(2) مرفت : المرجع السابق، ص125.

(3) الملطى : **التنبيه على الرد على أهل الاهواء والبدع**، (استنا بول ،1836م)، ص ص28-29.

(4) بدوي ، عبدالرحمن : **التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية** ، ص91.

وخلاصة القول أنه ليس من اليسير أن نفضل نشأة المعتزلة عن الجو السياسي الذي أحيطت به، فالصراعات والآراء السياسية التي انتشرت في العصر الأموي وما تلاه حول الإمامة، ومسألة مرتكب الكبيرة، كان لها أثرها البين في نشأة هذه الفرقة .

منهجهم وأهم اراؤهم (الكلامية والفلسفية):

لعل من أبرز السمات المميزة للمعتزلة، أنهم أقاموا مذهبهم على النظر العقلي، ومع إيمانهم الشديد بالعقل، فهم لا ينكرون النقل، ولكنهم لا يترددون في أن يخضعوه لحكم العقل ويقرون "أن الفكر قبل السمع. وقد امتد غلوهم في استعمال العقل، أن طبقوا قوانينه على المسائل الإلهية، كما طبقوها على المسائل الخاصة بالإنسان والطبيعة، مما أدى بهم إلى أقوال لا تخلو من جرأة[1]. وهم يرفضون الأحاديث التي لا يقرّها العقل ، ويؤولون المتشابه من الآيات القرآنية أي الآيات التي تفيد أن لله وجهاً وعينا كقوله تعالى:" ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام " .فهم يؤولون الوجه بأنه هو الله نفسه ، وقوله تعالى " وتجري بأعيننا " تعنى عندهم بعلم منا. أما الاستواء كما في قوله تعالى " الرحمن على العرش استوى " فمعناه عند المعتزلة " الاستيلاء". والفوقية في قوله تعالى " يخافون من فوقهم " تعنى العلو والرتبة [2].

يقول المعتزلة بحرية الرأي لهم ولمعارضيهم، فلا يمنع عندهم أن يعارض الابن أباه والتلميذ أستاذه. ولقد ترتب على تقديسهم لحرية الرأي أن بلغ الأمر بأبناء الأسرة الواحدة أن أتهم بعضهم بعض بالكفر، والمعتزلة وأن اتفقوا على الأصول الخمسة، فإنهم يختلفون ويتناقضون في العديد من التفاصيل[3].

هذه الأصول هي التوحيد، والعدل، والوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، ويقول الملطى أن المعتزلة عملوا العديد من الكتب على من خالفهم، ويتبرأون ممن خالفهم فيها، ولو كانوا من آبائهم أو إخوانهم أو عشيرتهم[4].

---

(1) ابراهيم مذكور : المصدر السابق ، 37/2.

(2) هويدي ، يحي : **دراسات في علم الكلام والفلسفة الاسلامية** ، دار الثقافة (بدون ، القاهرة)، ص113.

(3) ابراهيم مذكور : المرجع السابق ،ص38.

(4) الملطى : المصدر السابق ، ص42.

الخاتمة:

ولقد تبين من دراستنا لفرقة الخوارج أن تطرف أفكارهم وحكمهم بالكفر وجواز القتل لمخالفيهم، قد جعلهم خارجين عن إجماع الأمة، أما عن فرقة المعتزلة، فقد تبين أنها قدمت لنا فكراً يعبر عن المزج بين المصادر الإسلامية والمصادر الخارجية اليونانية، واتضح ذلك من أن المعتزلة وأن اعتمدوا على آيات القرآن الكريم واجتهدوا في تأويلها، فإنهم استفادوا أيضا من المصادر الأجنبية وخاصة المصدر اليوناني، الذي ظهر عند المعتزلة المتأخرين، بفضل حركة الترجمة العربية لكتب الفلاسفة اليونانيين، أما عن الشيعة فقد تبين من دراستنا لهذه الفرقة أن تعصبهم الزائد لعلي بن أبي طالب هو السبب في خروجهم على إجماع الأمة فيما يتعلق بمسألة الإمامة ، وقولهم بأنها بالنص والتعيين، وأن علياً كان أولى الناس بعد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بالخلافة لقرابته من رسول الله، ولفضله، وعلمه، وسخائه، وشجاعته، وورعه، وزهده، أما المبحث الثالث فتناول العوامل التي سادت على قيام هذه الفرق، والمتمثلة في مقتل عثمان رضي الله عنه والآثار التي ترتبت عن قتله والعامل الاجتماعي ودوره في إبراز هذه الظاهرة والصراع على السلطة وما يترتب على ذلك من حوادث القتل سبباً وجيهاً لنشأة الفرق، والثقافة الوافدة والمتمثلة في الفلسفة اليونانية. والتي تسرب الشيء الكثير منها إلى كل من مصر والعراق وأطراف البلاد الفارسية قبل ظهور الإسلام .

وجملة القول بأن ماجد من خلاف بين هذه الفرق فهو يعود إلى الأخذ بنظريات وأساليب جديدة مستمدة من ثقافات ومرجعيات فلسفية ودينية قديمة، كانت سبباً في تشكيل تيارات فكرية وظهور فرق متصارعة مازلنا نرى آثارها حتى عصرنا هذا .

خلاصة القول: فإنه من الطبيعي للدين الإسلامي أن تتهاوى أمام قوته الذاتية تلك العقائد والفلسفات، ومحاولة بعض الفئات الموتورة مواجهته والتصدي له بكل الوسائل، ولكنها عندما أدركت أنه لا سبيل إلى مقاومته، اتخذت من الإسلام جُنة لتدبير مؤامرتها. وقد تمكنت بالفعل من تحقيق بعض مآربها باغتيال قادة الأمة ، ونشر فتن كقطع الليل المظلم، ثم حاولت أن تنتصر لذاتها بنشر أفكار مبتدعة، من مزيج تلك العقائد والفلسفات، ومحاولة إسقاطها على نصوص من القرآن الكريم والسنة الشريفة ، مكونة بذلك تياراً فكرياً باطنياً، عملت على نشره في بعض الأوساط .

المصادر والمراجع:

أولاً : المصادر:

- القرآن الكريم .

1- سنن أبي داوود : **كتاب السنة** ، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه.

2- أحمد أمين : **فجر الاسلام** ، ط4، مكتبة النهضة المصرية، (القاهرة، 1987م).

3- البلاذري، أبوبكر أحمد بن يحى: **أنساب الأشراف**، (القدس، 1936م).

4- الجرجاني : **التعريفات**، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، (القاهرة، 1938م).

5- الجيلاني، علي بن فضل الله: **توفيق التطبيق**، تحقيق: محمد مصطفى حلمي، ط1، (1954م).

6- ابن حجر : **الصواعق المحرقة**، (القاهرة ، 1375هـ) .

7- ابن خلدون ، عبدالرحمن بن محمد: **المقدمة**، (القاهرة، 1939م).

8- الخوارزمي : أبي عبدالله بن موسى، **مفاتيح العلوم**، مكتبة الكليات الأزهرية، ط2، (القاهرة، 1981م).

9- الشهرستاني، محمد بن عبدالكريم: **الملل والنحل**، مؤسسة الحلبي للنشر والتوزيع، (القاهرة، 1968م).

10- الاشعري، أبي الحسن: **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين**، (استنابول، 1929م).

11- الطبري، أبو جعفر بن جرير: **تاريخ الرسل والملوك**، ط2، (القاهرة، 1969م).

12- الملطى: **التنبيه على الرد على أهل الأهواء والبدع**، (استنابول، 1836م).

13- ابن منظور، جمال الدين ابوالفضل محمد: **لسان العرب**، ط1، المطبعة الاميرية، (القاهرة، 1887م).

14- الندوي، أبو الحسن: **الامام الممتحن أحمد بن حمبل**، (القاهرة، 1973م).

15- هلال، إبراهيم: **نظرية المعرفة الاشرافية**، دار النهضة العربية، (القاهرة، 1978م).

ثانياً: المراجع:

1- بالي، مرفت عزت: **نماذج من مذاهب الفرق الاسلامية**، مكتبة النهضة المصرية، ط2، (بدون تاريخ، القاهرة).

2- حتى، فيليب: **تاريخ العرب**، دار العلم للملايين، (القاهرة، 1991م).

3- سيار، ابراهيم: **النظم ما وراء الكلامية والفلسفة**، دار النسيم للصحافة والنشر، ط2، (القاهرة، 1989م).

4- دي بور: **تاريخ الفلسفة في الإسلام**، ترجمة: محمد عبد الهادي، مكتبة النهضة المصرية، (القاهرة ، بدون تاريخ).

5- عاقل، نبيه: **تاريخ خلافة بنى أمية**، ط4، دار الفكر، (بيروت، 1988م).

6- عرفان، عبدالحميد: **دراسات في الفرق والعقائد الاسلامية**، مؤسسة الرسالة والنشر، (بيروت، 1977م).

7- العاملي، السيد محسن الامين: **أعيان الشيعة**، مطبعة الانصاف، (بيروت، 1370هـ).

8- عمارة، محمد: **موسوعة الحضارة العربية الاسلامية**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، (بيروت، 1986م).

9- عون، فيصل بدر: **علم الكلام ومدارسه**، منشورات جامعة عين شمس، (القاهرة ،1977م).

10- قلماوى، سهير: **أدب الخوارج**، (القاهرة ، 1945م).

11- كاشف الغطاء، محمد حسين : **أصل الشيعة وأصولها**، (القاهرة، 1958م)

12- كرير، زينب عبدالله : **تاريخ صدر الاسلام**، ط1، (الزاوية – ليبيا، 2000م).

13- كولدز يهر، **العقيدة والشريعة في الاسلام**، ترجمة: عبدالحليم النجار، (القاهرة ، بدون).

14- منضور الدين، احمد: **النظريات السياسية الاسلامية**، ط1، (القاهرة، 1988م).

15- مذكور، إبراهيم: **في الفلسفة الاسلامية منهج واطبيقه**، دار المعارف، (القاهرة، بدون).

16- النجار، عبد الوهاب أحمد : **الخلفاء الراشدون** .

17- هويدي، محي: **دراسات في علم الكلام والفلسفة الاسلامية**، دار الثقافة (بدون، القاهرة).

ثالثاً: المصادر الأجنبية:

1- Watt.w.m.philosophy and thcolagy..

2- John Alden willims islam newyork 1961.